● إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة:

الشرح:

ذكر المؤلف رحمه الله آيات إثبات رؤية الله تعالى.

الآية الأولى: قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣].

* قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾؛ يعني بذلك: اليوم الآخر.

* قوله: ﴿نَّاضِرَةٌ﴾؛ أي: حسنة، من النضارة؛ بالضاد، وهي: الحسن، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١]؛ أي: حسناً في وجوههم، وسروراً في قلوبهم.

* قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾: ﴿نَاظِرَةٌ﴾؛ بالظاء، من النظر، وهنا عُدِّي النظر بـ (إلى) الدالة على الغاية، وهو نظر صادر من الوجوه، والنظر الصادر من الوجوه يكون بالعين؛ بخلاف النظر الصادر من القلوب؛ فإنه يكون بالبصيرة والتدبر والتفكر؛ فهنا صدر النظر من الوجوه إلى الرب عز وجل؛ لقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا﴾.

فتفيد الآية الكريمة: أن هذه الوجوه الناضرة الحسنة تنظر إلى ربها عز وجل، فتزداد حسناً إلى حسنها.

وانظر كيف جعل هذه الوجوه مستعدة متهيئة للنظر إلى وجه الله عز وجل؛ لكونها نضرة حسنة متهيئة للنظر إلى وجه الله.

ففي هذه الآية دليل على أن الله عز وجل يُرى بالأبصار.

وهذا هو قول أهل السنة والجماعة.

واستدلوا لذلك بالآيات التي ساقها المؤلف، واستدلوا أيضا بالأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ والتي نقلها عنه صحابة كثيرون ونقلها عن هؤلاء الصحابة تابعون[1] كثيرون، ونقلها عن التابعين من تابع التابعين كثيرون... وهكذا.

والنصوص فيها قطعية الثبوت والدلالة؛ لأنها في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله ﷺ المتواترة.

وأنشدوا في هذا المعنى:

مِمَّا تَواتَرَ حَديثُ مَنْ كَذَبْ   وَمَنْ بَنَى للهِ بَيْتاً واحْتَسَبْ
وَرُؤْيَـةٌ شَفـاعَـةٌ وَالحَـوْضُ   وَمَسْحُ خُفَّيْـنِ وهـذي بَعْـضُ

فالمراد بقوله: «ورؤية»: رؤية المؤمنين لربهم.

وأهل السنة والجماعة يقولون: إن النظر هنا بالبصر حقيقة.

ولا يلزم منه الإدراك؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؛ كما أن العلم بالقلب أيضاً لا يلزم منه الإدراك؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. ونحن نعلم ربنا بقلوبنا، لكن لا ندرك كيفيته وحقيقته، وفي

---

(١) انظر: «شرح السنة» للالكائي (ص٤٧٠)، و«الشريعة» للآجري (ص٢٥١)، و«السنة» لعبد الله بن الإمام أحمد (١/ ٢٢٩)، وكتاب «الرؤية» للإمام الدارقطني، و«حادي الأرواح» لابن القيم (٢٠٤).

يوم القيامة نرى ربنا بأبصارنا، ولكن لا تدركه أبصارنا.

الآية الثانية: قوله: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٤].

* ﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾: جمع أريكة، وهي السرير الجميل المغطى بما يشبه الناموسية.

* ﴿يَنظُرُونَ﴾: لم يذكر المنظور إليه، فيكون عامّاً لكل ما يتنعمون بالنظر إليه.

وأعظمه وأنعمه النظر إلى الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤]؛ فسياق الآية يشبه قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾؛ فهم ينظرون إلى كل ما يتنعمون بالنظر إليه.

ومنه النظر إلىقرناء السوء يعذبون في الجحيم؛ كما قال تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ * يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ * أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ * قَالَ﴾؛ أي: لأصحابه: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾: ﴿هَلْ﴾: للتشويق... يطلعون على ماذا؟! على هذا القرين، ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾!! أعوذ بالله! رآه في سوائها؛ أي: في أصلها، وقعرها... سبحان الله! هذا في أعلى عليين، وهذا في أسفل سافلين، وينظر إليه مع بعد المسافة العظيمة!

لكن نظر أهل الجنة ليس كنظر أهل الدنيا، هناك ينظر الإنسان في ملكه في الجنة مسيرة ألفي عام، ينظر أقصاه كما ينظر أدناه، من كمال النعيم؛ لأن الإنسان لو كان نظره كنظره في الدنيا؛

ما استمتع بنعيم الجنة؛ لأنه ينظر إلى مدى قريب، فيخفى عليه شيء كثير منه.

اطلع من أعلى عليين إلى أسفل سافليـن، فرآه في سواء الجحيم.

قال يخاطبه: ﴿تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾، وهذا يدل على أنه كان دائماً يحاول أن يضله، ولهذا قال: ﴿إِن كِدتَّ﴾؛ يعني: إنك قاربت، و ﴿إِن﴾ هذه المخففة لا الثقيلة، ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ * أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ إلى آخر الآيات [الصافات: ٥٤ ـ ٥٨].

أقول: إن الناس سابقاً يمارون في مثل هذا؛ كيف يكون في أعلى مكان ويخاطب من ينظر إليه ويكلمه في أسفل مكان؟!

ولكن ظهرت الآن أشياء من صنع البشر؛ كالأقمار الصناعية، والتليفونات التليفزيونية... وغير ذلك؛ يرى الإنسان من خلالها من يكلمه وينظر إليه وهو بعيد.

مع أنه لا يمكن أن نقيس ما في الآخرة على ما في الدنيا.

* إذاً؛ ﴿يَنظُرُونَ﴾: عامة: ينظرون إلى الله، وينظرون ما لهم من النعيم، وينظرون ما يحصل لأهل النار من العذاب...

إذا قال قائل: هذا فيه إشكال!! كيف ينظرون إلى أهل النار ينكتون عليهم ويوبخونهم؟!

فنقول: والله؛ ما أكثر ما أذاق أهل النار أهل الجنة في الدنيا من العذاب والبلاء والمضايقة!!

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾: يضحكون؛ سواء في مجالسهم، أو معهم، ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ﴾؛ أي: انقلبوا متنعمين بأقوالهم، ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ...﴾!! قال الله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ...﴾ [المطففين: ٢٩ - ٣٥]؛ ينظرون إليهم وهم - والعياذ بالله - في سواء الجحيم.

إذاً؛ يكون هذا من تمام عدل الله عز وجل؛ بأن جعل هؤلاء الذي كانوا يضايقون في دار الدنيا، جعلهم الآن يفرحون بنعمة الله عليهم، ويوبِّخون هؤلاء الذين في سواء الجحيم.

الآية الثالثة: قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

* قوله: ﴿لِّلَّذِينَ﴾: خبر مقدم.
* و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: مبتدأ مؤخر، وهي الجنة.
* ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: هي: النظر إلى وجه الله.

هكذا فسره النبي ﷺ؛ كما ثبت ذلك في «صحيح مسلم»(١) وغيره.

ففي هذه الآية دليل على ثبوت رؤية الله من تفسير الرسول عليه الصلاة والسلام، وهو أعلم الناس بمعاني القرآن بلا شك،

(١) رواه مسلم (١٨١) عن صهيب رضي الله عنه.

وقد فسرها بالنظر إلى وجه الله، وهي زيادة على نعيم الجنة.

إذاً؛ فهي نعيم ليس من جنس النعيم في الجنة؛ لأن جنس النعيم في الجنة نعيم بدن؛ أنهار، وثمار، وفواكه، وأزواج مطهرة... وسرور القلب فيها تبع، لكن النظر إلى وجه الله نعيم قلب، لا يرى أهل الجنة نعيماً أفضل منه، نسأل الله أن يجعلنا ممن يراه.

وهذا نعيم ما له من نظير أبداً؛ لا فواكه، ولا أنهار، ولا غيرها أبداً، ولهذا قال: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾؛ أي: زيادة على الحسنى.

الآية الرابعة: قوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [قٓ: ٣٥].

* قوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾؛ أي: في الجنة كل ما يشاؤون.

وقد ورد في الحديث الصحيح أن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا رسول الله! أفي الجنة خيل؟ فإني أحب الخيل. فقال: «إن يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب فرساً، من ياقوتة حمراء، تطير بك في أي الجنة شئت إلا فعلت». وقال الأعرابي: يا رسول الله! أفي الجنة إبل؟ فإني أحب الإبل. قال: «يا أعرابي! إن يدخلك الله الجنة؛ أصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذّت عينك»[1].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٥/ ٣٥٢)، والترمذي (٢٥٤٣)، وأبو نعيم في زياداته على «الزهد» لابن المبارك (٢٧١)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٣٨٥) عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه.
والحديث ضعفه الألباني في «ضعيف سنن الترمذي» (٤٥٩).

فإذا اشتهى أي شيء؛ فإنه يكون ويتحقق، حتى إن بعض العلماء يقول: لو اشتهى الولد لكان له ولد؛ فكل شيء يشتهونه فهو لهم.

قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١].

* وقوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾؛ أي: مزيد على ما يشاؤون.

يعني: أن الإنسان إذا شاء شيئاً؛ يعطى إياه، ويعطى زيادة؛ كما جاء في الحديث الصحيح في آخر أهل الجنة دخولاً، يعطيه الله عز وجل نعيماً، ونعيماً... ويقول: رضيت. يقول له: «لك مثله وعشرة أمثاله»[1]. فهو أكثر مما يشاء.

وفسر المزيدَ كثيرٌ من العلماء بما فسر به النبي ﷺ الزيادة، وهي: النظر إلى وجه الله الكريم.

فتكون الآيات التي ساقها المؤلف لإثبات رؤية الله تعالى أربعاً.

وهناك آية خامسة استدل بها الشافعي رحمه الله، وهي قوله تعالى في الفجار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

ووجه الدلالة أنه ما حجب هؤلاء في الغضب؛ إلا رآه أُولئك

(١) رواه مسلم (١٨٨) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

في الرضى؛ فإذا كان أهل الغضب محجوبين عن الله؛ فأهل الرضى يرون الله عز وجل.

وهذا استدلال قوي جدّاً؛ لأنه لو كان الكل محجوبين؛ لم يكن مزية لذكر هؤلاء.

وعلى هذا؛ فنقول: الآيات خمس، ويمكن أن نلحق بها قول الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؛ على ما سنقرره في الرد على النفاة إن شاء الله.

* فهذا قول أهل السنة في رؤية الله تعالى وأدلتهم، وهي ظاهرة جلية، لا ينكرها إلا جاهل أو مكابر.

* وخالفهم في ذلك طوائف من أهل التعطيل من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم، واستدلوا بأدلة سمعية متشابهة وأدلة عقلية متداعية:

أما الأدلة السمعية:

فالأول: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

ووجه الدلالة أن (لن) للنفي المؤبد، والنفي خبر، وخبر الله تعالى صدق، لا يدخله النسخ.

والرد عليهم من وجوه:

ـ **الأول**: منع كون (لن) للنفي المؤبد؛ لأنه مجرد دعوى:

قال ابن مالك في «الكافية»:

وَمَنْ رَأى النَّفْيَ بِلَنْ مُؤَبَّداً فَقَوْلَهُ ارْدُدْ وَسِواهُ فَاعْضُدا

ـ **الثاني**: أن موسى عليه الصلاة والسلام لم يطلب من الله الرؤية في الآخرة؛ وإنما طلب رؤية حاضرة؛ لقوله: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾؛ أي: الآن. فقال الله تعالى له: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾؛ يعني: لن تستطيع أن تراني الآن، ثم ضرب الله تعالى له مثلاً بالجبل حيث تجلى الله تعالى له فجعله دكاً، فقال: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾، فلما رأى موسى ما حصل للجبل؛ علم أنه هو لا طاقة له برؤية الله، وخر صعقاً لهول ما رأى.

ونحن نقول: إن رؤية الله تعالى في الدنيا مستحيلة؛ لأن الحال البشرية لا تستطيع تحمل رؤية الله عز وجل؛ كيف وقد قال النبي ﷺ عن ربه عز وجل: «حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»(1).

أما رؤية الله تعالى في الآخرة فممكنة؛ لأن الناس في ذلك اليوم يكونون في عالم آخر تختلف فيه أحوالهم عن حالهم في الدنيا؛ كما يعلم ذلك من نصوص الكتاب والسنة فيما يجري للناس في عرصات القيامة وفي مقرهم في دار النعيم أو الجحيم.

ـ **الوجه الثالث**: أن يقال: استحالة رؤية الله في الآخرة عند

---

(1) سبق تخريجه ص(٢٨٤).

المنكرين لها مبنية على أن إثباتها يتضمن نقصاً في حق الله تعالى! كما يعللون نفيهم بذلك، وحينئذ يكون سؤال موسى لربه الرؤية دائراً بين الجهل بما يجب لله ويستحيل في حقه أو الاعتداء في دعائه حين طلب من الله ما لا يليق به إن كان عالماً بأن ذلك مستحيل في حق الله، وحينئذ يكون هؤلاء النافون أعلم من موسى فيما يجب لله تعالى ويستحيل في حقه!! وهذا غاية الضلال!

وبهذا الوجه يتبين أن في الآية دليلاً عليهم لا دليلاً لهم .

وهكذا؛ كل دليل من الكتاب والسنة الصحيحة يستدل به على باطل أو نفي حق فسيكون دليلاً على من أورده، لا دليلاً له.

الدليل الثاني لنفاة رؤية الله تعالى: قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

والرد عليهم: أن الآية فيها نفي الإدراك، والرؤية لا تستلزم الإدراك؛ ألا ترى أن الرجل يرى الشمس ولا يحيط بها إدراكاً؟!

فإذا أثبتنا أن الله تعالى يُرى؛ لم يلزم أن يكون يدرك بهذه الرؤية؛ لأن الإدراك أخص من مطلق الرؤية.

ولهذا نقول: إن نفي الإدراك يدل على وجود أصل الرؤية؛ لأن نفي الأخص يدل على وجود الأعم، ولو كان الأعم منتفياً؛ لوجب نفيه، وقيل: لا تراه الأبصار؛ لأن نفيه يقتضي نفي الأخص، ولا عكس، ولأنه؛ لو كان الأعم منتفياً؛ لكان نفي

الأخص إيهاماً وتلبيساً ينزَّه عنه كلام الله عز وجل.

وعلى هذا؛ يكون في الآية دليل عليهم لا دليل لهم.

* **وأما أدلة نفاة الرؤية العقلية؛** فقالوا: لو كان الله يُرى؛ لزم أن يكون جسماً، والجسم ممتنع على الله تعالى؛ لأنه يستلزم التشبيه والتمثيل.

والرد عليهم: أنه إن كان يلزم من رؤية الله تعالى أن يكون جسماً؛ فليكن ذلك، لكننا نعلم علم اليقين أنه لا يماثل أجسام المخلوقين؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

على أن القول بالجسم نفياً أو إثباتاً مما أحدثه المتكلمون، وليس في الكتاب والسنة إثباته ولا نفيه.

وقد أجاب النفاة عن أدلة أهل الإثبات بأجوبة باردة، فحرفوها تحريفاً لا يخفى على أحد، وليس هذا موضع ذكرها، وهي مذكورة في الكتب المطولة.

ما نستفيده من الناحية المسلكية من هذه الآيات:

أما في مسألة الرؤية؛ فما أعظم أثرها على الاتجاه المسلكي؛ لأن الإنسان إذا وجد أن غاية ما يصل إليه من الثواب هو النظر إلى وجه الله كانت الدنيا كلها رخيصة عنده؛ وكل شيء يرخص عنده في جانب الوصول إلى رؤية الله عز وجل؛ لأنها غاية كل طالب، ومنتهى المطالب.

فإذا علمت أنك سوف ترى ربك عياناً بالبصر؛ فوالله لا تساوي الدنيا عندك شيئاً.

فكل الدنيا ليست بشيء؛ لأن النظر إلى وجه الله هو الثمرة التي يتسابق فيها المتسابقون، ويسعى إليها الساعون، وهي غاية المرام من كل شيء.

فإذا علمت هذا؛ فهل تسعى إلى الوصول إلى ذلك أم لا؟!

والجواب: نعم؛ أسعى إلى الوصول إلى ذلك بدون تردد.

وإنكار الرؤية في الحقيقة حرمان عظيم، لكن الإيمان بها يسوق الإنسان سوقاً عظيماً إلى الوصول إلى هذه الغاية؛ فهو يسير ولله الحمد؛ فالدين كله يسر، حتى إذا وجد الحرج تيسر الدين؛ فأصله ميسر، وإذا وجد الحرج تيسر ثانيةً، وإذا لم يمكن القيام به أبداً سقط؛ فلا واجب مع العجز، ولا حرام مع الضرورة.

* * *

● **قال المؤلف رحمه الله: «وهٰذَا البَابُ فِي كِتَابِ اللّٰهِ كَثِيرٌ، وَمَنْ تَدَبَّرَ القُرْآنَ طَالِباً للهُدَى؛ تبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الحَقِّ».**

* قوله: «**وهذا الباب**»: الإشارة هنا إلى باب الأسماء والصفات.

* قوله: «**في كتاب الله كثير**»: ولذلك؛ ما من آية من كتاب الله؛ إلا وتجد فيها غالباً اسماً من أسماء الله، أو فعلاً من أفعاله، أو حكماً من أحكامه، بل لو شئت لقلت: كل آية في كتاب الله

فهي صفة من صفات الله؛ لأن القرآن الكريم كلام الله عز وجل؛ فكل آية منه؛ فهي صفة من صفات الله عز وجل.

* وقوله: «وَمَنْ تَدَبّر القرآن»: تدبر الشيء؛ معناه: التفكر فيه، كأن الإنسان يستدبره مرة ويستقبله أخرى؛ فهو يكرر اللفظ ليفهم المعنى.

فالذي يتدبر القرآن بهذا الفعل، وأما النية؛ فهي أن يكون «طالباً للهدى» منه؛ فليس قصده بتدبر القرآن أن ينتصر لقوله، أو أن يتخذ منه مجادلة بالباطل، ولكن قصده طلب الحق؛ فإنه سوف تكون النتيجة قول المؤلف: «تَبيّنَ لَهُ طَريق الحَق».

وما أعظمها من نتيجة!!

لكنها مسبوقة بأمرين: التدبر، وحسن النية؛ بأن يكون الإنسان طالباً للهدى من القرآن؛ فحينئذ يتبين له طريق الحق.

والدليل على ذلك عدة آيات؛ منها:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:

.[٣٢

. . . والآيات في هذا كثيرة، تدل على أن من تدبر القرآن ـ لكن بهذه النية، وهي طلب الهدى منه ـ؛ لا بد أن يصل إلى النتيجة، وهي تبين طريق الحق.

أما من تدبر القرآن ليضرب بعضه ببعض، وليجادل بالباطل، ولينصر قوله؛ كما يوجد عند أهل البدع وأهل الزيغ فإنه يعمى عن الحق والعياذ بالله:

لأن الله تعالى يقول: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران: ٧]؛ على تقدير (أما)؛ أي: وأما الراسخون في العلم؛ فـ ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران: ٧]، وإذا قالوا هذا القول؛ فسيهتدون إلى بيان هذا المتشابه، ثم قال: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [فصلت: ٤٤].

* * *